المسلسل السوري «غزلان في غابة الذئاب»:

مجتمع يدفع ثمن الفساد... والمفسدون ينتظرهم القدر!

أمل عرفة في «غزلان في غابة الذئاب» (القدس العربي)

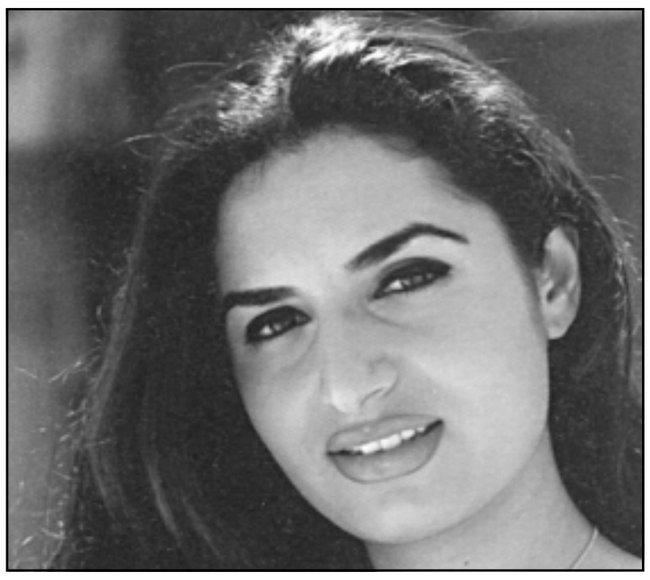

رشا شربتجي. (القدس العربي)

ايمن رضا (القدس العربي)

دمشق ـ «القدس العربي»

ـ من أنور بدر:

عندما نحت الدراما السورية باتجاه القضايا الاجتماعية، كان طبيعياً أن نشاهد تكراراً في الكثير من الموضوعات المعالجة، وبشكل خاص قضايا الفساد باعتبارها عنواناً رئيسياً للواقع السوري، بل هي معاناة يومية للمواطن، ومع ذلك كانت تشكل خطاً أحمر سابقاً، لا يجوز الاقتراب منه أو تجاوزه، لكن الدراما السورية نجحت بتخطيه كما يرى البعض، في حين يؤكد آخرون أنّ النظام نفسه الذي يرفع شعار مكافحة الفساد له مصلحة بالتشهير ببعض الفاسدين والمفسدين، خاصة إذا كانوا من ذوي الملفات المحروقة، وبعضهم يعتقد بوجود إدارة رقابية تقوم بتسريب تلك الملفات الفاسدة لتبرئة ذمة البعض ممن يرفع شعارات مضادة.

فمسلسل «على طول الأيام» يتناول قصة رجل فاسد متورّط بقضايا أطعمة فاسدة ونفايات صناعية ملوثة، تحيل بالضرورة إلى نائب الرئيس السابق «عبد الحليم خدام» وأنجاله المتهمين بالتورط في قضايا دفن النفايات النووية والتي تمّ إثارتها في الإعلام وتحت قبة البرلمان– مجلس الشعب السوري– إثر انشقاق خدام من صفوف النظام والتحاقه بالمعارضة في الخارج. ومع ذلك لم يُعرف ولم يُسمع عن تحقيق قضائي نزيه بهذه المشكلة.

مسلسل «غزلان في غابة الذئاب» يتعرّض بدوره لمظاهر الفساد المستشري، من جراء الممارسات السيئة لبعض المسؤولين وأبنائهم، ويتوقف مع ابن أحد كبار المسؤولين والذي لا يتورع عن تصفية كل من يقف في سبيل نزواته الدنيئة، مستغلاً سلطة والده، بل يصل الأمر حد سرقة الأختام الرسمية لوالده، لتسيير صفقاته المشبوهة.

وقد أحال بعض الإعلاميين هذه القضية إلى رئيس الوزراء السابق «محمود الزعبي» الذي قيل أنه انتحر أثر فضائح الفساد التي فتحت ملفاتها عام /2000/، مع أنّ المخرجة «رشا شربتجي» تؤكد في لقاء مع وكالة الأنباء الفرنسية أنها لم تقصد شخصاً بعينه، إلا أنه ورغم كل الشكوك السابقة، لم ينج المسلسل من مقص الرقابة التي حذفت منه ساعة ونص قبل العرض، وهذا ما حوّل المسلسل من /30/ حلقة إلى /29/ حلقة فقط.

مما يميز الجرعة الدرامية لهذا الموسم أنها طالت الفساد في الأوساط الرسمية، فمسؤولون في قمة الهرم السلطوي يمارسون كل أنواع الفساد المادي والخلقي بأن معاً، وقد نجحت «رشا شربتجي» بتصويرّ ذلك على خلفية التناقضات الطبقيّة والاجتماعية التي غدت حادة في سورية، فساد المسؤولين ومافيا التجار ينعكس بشكل مباشر على الطبقات الشعبية التي تشكل مرآة تعكس هذا الخراب أو التخريب، وهي في نفس الوقت مجال طمعهم وجشعهم أيضاً.

فمقابل سامر «قصي خولي» ابن المسؤول «خالد تاجا» والذي يستغل منصب والده لإرهاب الآخرين والتحكم في مصيرهم، وبشكل خاص الفتيات اللواتي هنّ مكمن رغباته المريضة، فيقيم علاقة مع أي فتاة تقع في طريقه، ورغماً عنها، ولن يتوانى في تصفية أي شخص يعترض طريقه، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الموظفات في مكتب والده هنّ بالضرورة محكومات بإقامة العلاقة التي يفرض هو شكلها كجزء من عملهم اليومي، ويصل به الأمر إلى ضربهن وامتلاك مفاتيح منازلهنّ، وحتى يمنع ارتباطهنّ الشرعي بأيّ رجل، وسق على هذا.

وأعتقد أنّ «قصي خولي» قد توفّق كممثل في أداء هذا الدور على كاتب السيناريو «فؤاد حميرة»، حتى أنّ أغلب المشاهدين تلبسهم الدور لدرجة أنهم كرهوا الممثل لكثرة نذالة الشخصية التي يلعبها.

إلى جانب قصي لعبت «عبير شمس الدين» دور الفتاة المدللة، التي تمارس سلطة والدها حتى على زوجها، العصبية والمزاجية والحديّة العالية في التعامل، إلى جانب الهلوسات الدائمة المتعلقة بحب زوجها «رافي وهبي» لها أو خيانته، إنْ تمرده على أيّ من هذا سيعرضه لعقاب شديد من رجال والدها!

أقول مقابل هذا النّموذج نجد «أمل عرفة» بائعة خضراوات في سوق التنابل، فتاة أميّة وبسيطة، تهرب من فقر الريف ومتسلطيه، لتقف أمام فقر المدينة وجبروت متنفذيها القساة، وحين تحاول بطبيعتها وسذاجتها الادعاء على نجل احد المسؤولين، لا يتورع عن إيداعها مشفى المجانين، حيث تمارس عليها شتى أنواع الضغوط النفسية والجسدية وصولاً إلى الاغتصاب.

وفجيعتها الكبرى عندما تخرج من المستشفى أنّ كل الناس الفقراء الذين توهمت أنها معهم وتدافع عنهم كانوا يرفضونها ويبتعدون عنها. لينتهي بها المطاف وقد قتلت نفسها.

النموذج الثالث كان ايمن رضا، وهو ينتمي لتلك الشرائح الفقيرة، يعمل بائع متجوّل في حارات دمشق، يبيع بطاقات اليانصيب والشوكولا والعلكة وغيرها ليتمكن من إعالة أسرته، فهو الأخ الأكبر وعليه تحمل مسؤولية تعليم أخوته الصغار، ومساعدة أخته الكبيرة «أمل عرفة» في مأزقها الصعب، يحاول تغيير عمله لتحسين مستوى دخله دون جدوى، فلا يجد مهرباً إلا بالإدمان على تعاطي الحشيش.

النموذج شبه المطلق في سلبيته كان الأخ الأصغر لعب دوره «محمد حداقي»، ممثلاً عن كل أبناء الطبقات المسحوقة ذوي الطموح بالثروة والسلطة مهما كان الثمن، ولو وصل إلى عائلته من أخته أو والدته.

لا يعرف للولاء معنى، بل يبيع نفسه لصاحب الثمن الأعلى، وبين هذا وذلك تنسحق الفتاة الصغيرة «ديمة بياعة» في حب رجل ملتزم هو والد خطيبها «جهاد سعد» تبحث لديه عن معنى الأب، عن قليلٍ من الحماية وشيء من الهدوء.

شخصيات مركبة اشتغلت عليها المخرجة بشكل لا فت للانتباه، حتى أنّ «أمل عرفة» نالت فيّ استبيان صحيفة الأنباء الكويتية 2006/10/14 ثاني أفضل تمثيل في الدراما السورية بعد بسام كوسا، علما أنّ الاستبيان شمل مساحة دول الخليج العربي بالإضافة إلى مصر ولبنان.

ولا يمكن الحديث عن الممثلين في هذا العمل دون التوقف مع الدور الرائع لخالد تاجا المسؤول الذي يتغاضى عن هفوات أبناءه ونجله خاصة حتى يودي به إلى الموت، وكذلك الفنانة القديرة «ثناء دبسي» في دور أم العائلة الفقيرة التي تعمل في إعداد أنواع الخضار لسوق التنابل في حي الشعلان بدمشق، وهو من الأدوار الجميلة التي أعادت إلينا هذه الممثلة القديرة عبر شاشاتنا الرمضانية.

الملاحظة الأخيرة أنّ كاتب السيناريو «فؤاد حميرة» ربما يكون اتكأ على حادث وفاة ثلاثة من أبناء المسؤولين في حادث سيارة، لينهي حياة بطل الفساد «سامر» عندما تنزلق سيارته من فوق جبل قاسيون، في الحلقة العشرين من هذا المسلسل.

وهي النهاية التي شكلت نقطة ضعف للعمل أصلا، إذ ظهر القدر لينتقم لأولئك المسحوقين في ضعفهم. مع أنّ هذا الانتقام كان يجب أن يظل مساحة الفعل الدرامي بين قوى المال والسلطة وبين الناس وقوى المجتمع وفئاته الشعبية، حتى لو غابت تلك القوى الثانية عن الفعل لأسباب ندركها نحن في سورية، إلا أنّ وجودها يشكل بصيص الأمل الوحيد في حلكة هذا الواقع الفاسد، إلا أنّ المخرجة التي أفلحت كامرتها في دخول زوايا معتمة من مجتمعنا، وصورت في أحياء دمشق الفقيرة وبيوتها القديمة مقابل تصوير بيوت المسؤولين وبذخ الأثرياء، شاءت أن تطفئ ذلك البصيص من الأمل حين ذهب أيمن رضا إلى الإدمان، وخرجت أم عرفة بيأس قوي جزاء تنكر المجتمع لها، ثم تدخل القدر أخيراً لينهي حياة قصي خولي بحادث سيارة.

السؤال: هل هي فعلاً سقطة العمل؟ أم أنّ المخرجة قد حملت إلينا كل هذا اليأس والقنوط من إمكانية الفعل أو التغيّر في الواقع؟! علامات استفهام تحتمل اللبس، لكن العمل سيبقى رغم ذلك من أقوى الأعمال الدرامية في هذه الدورة الرمضانية، ويؤكد أنّ رشا شربتجي التي شاهدناها العام المنصرم في مسلسل «أشواك ناعمة» وهذا العام بعمل «غزلان في غابة الذئاب» قد نجحت بوضع بصمتها بين كبار مخرجي الدراما السورية، بانتظار ما سوف تقدمه لنا مستقبلاً.

العمل من إنتاج مشترك بين شركتي «لين» و«الشرق»، وضمّ نخبة من نجوم الدراما السورية، خالد تاجا، ثناء دبسي، أمل عرفة، سامر المصري، أيمن رضا، سلمى المصري، صباح بركات، محمد حداقي، جهاد سعد، نادين تحسين بك، عبد الحكيم قطيفان، ديمة قندلفت، ديمة بياعة، عبير شمس الدين، وآخرين.

مسرح الجوال يعود ويفتح بيت الجنون:

عمل توفيق فياض الذي كأنه كتب اليوم!

مشهد من المسرحية (القدس العربي)

سخنين ـ من ميسون أسدي:

يعيد مسرح «الجوال» السخنيني في هذه الأيام، تقديم مسرحية «بيت الجنون» من تأليف الكاتب توفيق فياض، إعداد وإخراج وتصميم ديكور عادل أبو ريا وتمثيل خالد أبو علي وموسيقى ياسمين شاهين وإضاءة يونس صبح.

تعتبر هذه المسرحية من أوائل المسرحيات الفلسطينية التي صدرت في كتاب في سنوات السبعين، وقد تناولها أكثر من فنان، لكن مسرح «الجوال»، اشترك فيها بمهرجان مسرحيد الأول الذي عقد في عكا عام 2001، وها هو اليوم يعيد إنتاجها ووضع رؤية جديدة لها، ورغم ان المسرحيدية كتبت في تلك الفترة، إلا أنها تبدو وكأنها كتبت اليوم، مما يدل على ان وضعنا العربي والفلسطيني لم يتبدل كثيرا.

ويقول معد ومخرج المسرحية عادل أبو ريا: لقد استطاع توفيق فياض، في هذا العمل ان يصهر تجربته الذاتية والقومية كفلسطيني ونصيبه من التشرد والضياع في التجربة الإنسانية العامة التي تتماهى مع مأساة كل إنسان مقهور.. حيث يثور على الانحطاط وامتهان الإنسانية، كقوله: «مسكينة أمي، لم تجد غير المرحاض تسقطني فيه.. أليس هذا هو الإفلاس.. إفلاس العالم من قيمه الأخلاقية، ان تكون المراحيض مهود ولادة البشرية؟».

يشار إلى ان الكاتب توفيق فياض، من مواليد حيفا عام 1939، أعتقل في إسرائيل عام 1969، بتهمة التجسس لصالح مصر، وأفرج عنه في نطاق عملية تبادل الأسرى في صفقة «الكيلو 101»، حيث أبعد إلى مصر في حينه، عمل في مركز الأبحاث في بيروت ومن ثم أسس دار النشر لأدب الأطفال، وما بين السنوات 1981– 1989، عمل في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وفي تونس حصل على الأستاذية في الإعلام من معهد الصحافة والأخبار، له دراسات عديدة في الأدب ومجموعات قصصية.

فضائيات

دراما رمضان التلفزيونية: موسم إرهابي حافل!

محمد منصور*

■ تتابع الدراما العربية في رمضان، وللعام الثالث على التوالي... التركيز على موضوع الإرهاب كموضوع أساسي من موضوعات عدد من المسلسلات التلفزيونية لهذا العام.

فبعد أن كنا في العام 2004 مع مسلسل (الطريق إلى كابول) الذي حاول كاتبه الأردني جمال حمدان، ومخرجه محمد عزيزية لأول مرة، أن يقدما قراءة درامية في ظاهرة الأفغان العرب، وعلاقتهم بحركة طالبان وبالمخابرات الأمريكية التي شجعت جهادهم ضد السوفييت من قبل... وهي محاولة وئدت على الهواء مباشرة، إذ تم إيقاف العمل الذي أنتجه تلفزيون قطر وعرضته (إم.بي.سي) بعد عرض ثماني حلقات فقط... وبقيت الأسباب الحقيقية لإيقافه مجهولة، رغم اتهام القناة التي عرضته لتلفزيون قطر بعدم تزويدها بباقي الحلقات باعتباره الجهة المنتجة، ورغم زعم تلفزيون قطر بتلقيه تهديدات من إحدى المنظمات المسلحة التي نسب إليها بيان حافل بالتهديدات لكل من شارك بالعمل، فإن حضور موضوع الإرهاب في الدراما العربية تجدد في العام التالي 2005، من خلال سلسلة من الأعمال، كان أبرزها (الطريق الوعر) لكاتب مسلسل (الطريق إلى كابول) نفسه، ومن إخراج التونسي شوقي الماجري... وهو مسلسل وعى محاذير سلفه الموؤد في العلب، فعمل على العودة إلى موضوع الأفغان العرب نفسه، لكن من خلال تقديم دراما بلا جغرافيا، وبلغة عربية فصحى بعيدة عن تحديد أية لهجات تجنبا لإثارة الحساسيات الرقابية، وضغوطات الاعتبارات السياسية، التي قد تتحكم بالعرض والتوزيع.. ثم مسلسل (الحور العين) الذي أنتج بأموال ودعم سعوديين، والذي أخرجه المخرج السوري نجدت أنزور عن نص للدكتورة هالة أنيس دياب، ساهم في مراجعته الممثل الأردني جميل عواد، وأشرف على الجانب الديني فيه السعودي عبد الله بجاد.. وفيه حاول صناع العمل، من خلال استعراض نماذج أربع أسر عربية تعيش في مجمع سكني واحد (مصرية وسورية ولبنانية وأردنية) التركيز على أخطاء التربية والعنف المنزلي التي تقود بعض الشباب لسلوك سبيل الإرهاب والتطرف كما أراد أن يقول العمل، إنما وسط طغيان الحبكات الفرعية على الخط الرئيسي، وحمى الحوارات والمشاجرات المنزلية المكررة، والتطويل الإنتاجي، مع غياب التمثيل الفعلي لنموذج الأسرة الخليجية التي يفترض أن المسلسل يتوجه إلى أبنائها أولا، مستعيضا عن ذلك بحضور المسجد، الذي تتجاذب ساحته الجماعات المتطرفة، والشيخ الإسلامي المستنير والمعتدل في حوارات ذهنية عن التكفير والتنوير!

وقد عاد نجدت أنزور هذا العام، ليعزف على نغمة الإرهاب، الرائجة إنتاجيا هذه الأيام، من خلال مسلسله الأحدث (المارقون) الذي عرضته حصرياً، قناة (L.B.C) اللبنانية في شهر رمضان، وقد قسم أنزور مسلسله هذا إلى عشر ثلاثيات، كل ثلاثية تروي قصة تتمحور حول الإرهاب وتداعياته في العالم العربي، أو على العرب في الخارج... وقد ساهم في كتابة قصص المسلسل عدد من الكتاب السوريين والعرب نذكر منهم: (د. هالة دياب، إيمان السعيد، عبد المجيد حيدر، حسن م. يوسف).

طبعا ما زالت مشكلة التطويل، تطل برأسها في هذا العمل، الذي لا تصلح معالجات بعض قصصه، سوى لأن تكون فيلما تلفزيونيا في حلقة واحدة... وليست ثلاثية، أما المشكلة الأساس في هذا العمل، فهي النظرة النمطية الجامدة، التي تطلق الأحكام المسبقة على كل ما له علاقة بالجانب الإسلامي في المجتمعات العربية.. ففي ثلاثية (بين جبهتين) مثلا، للكاتب حسن.م. يوسف، نرى أن بطل العمل يتجه إلى الجامع بعد فشله عاطفيا... والسؤال: ألا يمكن لأي شاب أن يتجه للجامع في ظروف طبيعية، تتوافق مع ما يؤمن به، أو ما يعتقده في سلوكه التعبدي... ولماذا تصوير كل من يتجه إلى الجامع تصويرا مأزوما قائما على حالة اضطراب أو فشل؟!

وبعيدا عن هذا التنميط الذي اعتادت عليه الدراما العربية عموما في تقديم صورة الإسلامي، فإن مسلسل (المارقون) يقدم لنا صورة شديدة النفاق والتزوير لأجهزة المخابرات العربية، ومنها مثلا استعانة أجهزة المخابرات بدكتورة جامعية في علم النفس، للمساعدة على حل المشكلات الأمنية التي تعترضهم.. ناهيك عن أسلوبهم المهذب الرقيق في الاستجواب، والذي يجعلك تشك أنك أمام محققين عرب، يعرف القاصي والداني كيف يستنطقون المتهمين الذين يقعون تحت أيديهم، وأي أذى وامتهان لكرامة الإنسان يلحقونه بمن يقع تحت دائرة الشبهات الأمنية، ولعل أوضح الأمثلة على ذلك قصة السوري ماهر عرار وفضيحة التعذيب التي تعرض لها حين رحل إلى بلده قسرا.

طبعا قضية الإرهاب تحضر هذا العام في الدراما والكوميديا معا، ففي المسلسل السوري (أحقاد مخفية) للكاتب يوسف عرور والمخرج مروان بركات، ثمة خط درامي عن الإرهاب ضمن بانوراما من عالم الفساد الذي يعرض له العمل، ورغم حيوية بعض الخطوط الدرامية الأساسية في العمل، فإن خط الإرهاب لا يكف عن تنميط صورة الإسلامي وتجريده من البعد الإنساني والدرامي لصالح الشعار الذي يعبر عن رأي أجهزة الأمن ورؤيتها المفضلة لكيفية تصوير الإرهابي المطلوب.

والواقع... فالكوميديا التلفزيونية، كانت أصدق وأكثر مرونة وجاذبية في التطرق لقضايا الإرهاب هذا العام... رغم أن واقع الحال يقول أن الدراما يجب أن تكون هي المكان الملائم لمعالجة مثل هذه القضايا... ففي الجزء الرابع عشر من سلسلة (طاش ما طاش) للفنانين السعوديين ناصر القصبي وعبد الله السدحان، ومن إخراج عبد الخالق الغانم... ثمة رؤية كوميدية ساخرة وخفيفة الظل، لعوالم الجماعات الإرهابية، من خلال قيام احدى الجماعات، بتحقيق تجربة تلفزيون الواقع لاختيار أفضل إرهابي ضمن برنامج (إرهاب أكاديمي) والحلقة المذكورة التي تعرضت لانتقاد شديد اللهجة في الصحافة السعودية، تقدم الكثير من الإشارات الساخرة والانتقادية بروح فكهة، لكن دون غوص في العمق أكثر مما تحتمله المعالجة الكوميدية أصلا... أما مسلسل الفنان دريد لحام الجديد (أيام الولدنة) الذي كتبه الزميل حكم البابا، وأخرجه مأمون البني... فهو يكاد يشذ عن قاعدة مغازلة أجهزة المخابرات العربية، وتصوير رقيها المزعوم في تعقب هذه (الفئة الضالة)، ومحاولة إعادتها إلى جادة الصلاح وحب المجتمع بالحسنى(!!!) إذ يصور في بعض الحلقات، كيف يتحول تجمع بريء لمجموعة رجال يلتقون، بهدف ممارسة الألعاب الصبيانية في أحد الشوارع... إلى تهمة تنظيم إرهابي، يتم انتزاع اعترافات أعضائه تحت الضرب والتعذيب، والتهديد باستخدام الكهرباء والدولاب وبساط الريح والكرسي الألماني... وكيف تتم فبركة الاتهامات الإرهابية لحل أي مشكلة أمنية أو تعقيدها، مع التأكيد على ضرورة أن يكون الزي الموحد للإرهاب هو الزي الإسلامي حصرا!

وفي هذا يسجل لمسلسل (أيام الولدنة) شذوذه عن قاعدة النفاق في ممالأة أجهزة الأمن العربية، فهو يتحلى بقدر مدهش وغير مسبوق من المشاكسة والجرأة في تصوير خفايا الألاعيب المخابراتية، التي تكاد تتحكم بكل كبيرة وصغيرة في حياة المواطن العربي، وتجعل منه ألعوبة حين يتصل الأمر بتهمة الإرهاب!

وقصارى القول... فموجة الإرهاب في الدراما التلفزيونية العربية مستمرة ومؤهلة للمزيد... وهي تكاد تتحول إلى فن خاص للتعبير عن رأي أجهزة الأمن وتلميع صورتها... إذ لا أحد يقول في هذه المسلسلات شيئا عن دور غياب الديمقراطية في تفريخ الإرهاب والتطرف... وعن دور الفساد وانهيار دولة المؤسسات والعنف الذي تمارسه بعض الأنظمة على مواطنيها، في حمل بعض هؤلاء المواطنين إلى الجهاد ضدها باسم الإسلام.. بحثا عن حياة أخرى.

---

* كاتب من سورية

وارضيات